سيدنا موسى وسيدنا عيسى (عليهما السلام) في العقيدة الصابئية

□

الاستاذ المساعد الدكتور واثق عبد الرزاق عبد المجيد

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الفلوجة

المدرس المساعد عصام محمود جاسم

كلية العلوم التطبيقية/ جامعة الفلوجة

المقدمة

الحمد لله الذي بعث النبيين مبشرين ومنذرين، وانزل معهم الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم، فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. والصلاة والسلام على سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي ختم به انبياءه وهدى به اولياءه ونعته بقوله في القران الكريم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وعلى آله وصحبه اجمعين.. اما بعد:

إن الإيمان بالله الخالق سبحانه وتعالى يوجب الايمان برسله وانبيائه، والايمان بالرسل يوجب الايمان بكتبهم، التي بعثها الله ﷻ وأنزلها عليهم سواء أكانت شفهية او مدونة، فالوحي والكتاب والرسالة هي النبوة المنتظر تقديمها للإنسانية، والا فبغير ذلك يصبح الايمان بالرسل عبثاً لا طائل من وراءه. والدين الاسلامي طبقاً لما ورد في القران الكريم هو الدين الوحيد الذي اثّر برسالات جميع الانبياء والمرسلين فأوجب على معتنقيه ذلك.والعقيدة الصابئية حالها حال بقية العقائد الدينية، التي تناول جزءاً منها ماخص الانبياء والمرسلين إذ يقول الدكتور الصابئي أصبح مدلول السهيري: (تشترك معظم الأديان في تعاليمه عن الصفات الخاصة بالخالق ومن بينها العقيدة الصابئية المندائية التي تتشابه كثيراً في هذا المجال وتتمثل خاصة في ايمانها بوحدانية الخالق والإيمان بكتبه ورسله وتعاليمه)(٢) ولم يوضح لنا الدكتور الصابئي (مدلول السهيري) من هم هؤلاء الانبياء والرسل الذين تؤمن بهم العقيدة الصابئية، ولكن كاتباً صابئياً آخر يبدو انه قد سلط بعض الاضواء على هذا الامر من خلال حديث له عن عقائد طائفة الصابئة، فقال: (وأنا باعتباري أحد أبناء طائفة الصابئة إن الصابئة عقيدة توحيدية تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، وكذلك تؤمن عقيدة الصابئية بالأنبياء "ادم وشيت وادريس وسام بن نوح وإبراهيم ويحيى بن زكريا وموسى وعيسى)(٣).وسؤالنا هو اين الرسل والانبياء الباقون؟ وهل العقيدة الصابئية تؤمن بهؤلاء فقط كأنبياء ولا تؤمن بغيرهم؟ ام انها تؤمن بالباقين ولكنها لم تتطرق لهم؟ والاجابة على هذا التساؤل في قول احد ابناء طائفة الصابئة (الصابئة المندائيون الحاليون يؤمنون برسالة شيت وسام ويحيى، يؤمنون بهم كانبياء جاءوا لهداية البشر الى التوحيد، وهم وغيرهم يذكرون في صلوات كل صابئي، اما انكار الانبياء وعدم الاعتقاد برسالاتهم التوحيدية فامر غير مألوف وغير وارد)(٤) ومعنى هذا ان بقية الانبياء يذكرون في صلوات كل صابئي.وسنحاول من خلال هذا البحث معرفة رأي العقيدة الصابئية في اثنين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهما سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام.ولا يسعنى المجال ان نتناول بالتفصيل الكامل رسالة وحياة كلا منهما عليهما الصلاة والسلام ولكن نقف عند اهم الاحداث التي ذكرتها العقيدة الصابئية في حياة هذين النبيين عليهما الصلاة والسلام ومن هذه المواقف والاحداث سيظهر لنا بشكل واضح موقف العقيدة الصابئية من هذين النبيين عليهما الصلاة السلام.لهذا اقتضي ان تكون خطة البحث مشتملة على مبحثين وخمسة مطالب، حيث كان عنوان المبحث الاول، سيدنا موسى في العقيدة الصابئة، والذي يتضمن مطلبين، المطلب الاول، علاقة الصابئة المندائيون في الحرب بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون، اما المطلب الثاني فكان عنوانه عبور سيدنا موسى عليه السلام البحر ولحاق فرعون له كما في نصوص العقيدة الصابئية.

اما المبحث الثاني فكان عنوانه (سيدنا عيسى عليه السلام والنصرانية في المنظور الصابئي) وقد شمل هذا المبحث ثلاث مطالب، الاول كان يتحدث عن تقديس يوم الاحد بين المسيحيين والصابئة المندائيون، والمطلب الثاني تحدث عن الاواصر التي تربط الديانتين الصابئة المندائية والمسيحية، اما المطلب الثالث والاخير فقد تحدثت فيه عن مكانة السيد المسيح عليه السلام عند الصابئة المندائية.وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

سيدنا موسى عليه السلام في العقيدة الصابئية.

المطلب الاول: علاقة الصابئة في الحرب بين موسى عليه السلام وفرعون.

عندما اتسع الخلاف بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون وقومه لم يتبقى مع سيدنا موسى عليه السلام سوى وسيلة الهرب من طغيان وظلم فرعون، فأخذ قومه واتجه صوب البحر بعد ان اوحى الله عز وجل له بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[٥]، فالحق سبحانه وتعالى يطمئن سيدنا موسى عليه السلام بان لا يخاف دركاً ولا يخشى هذا ما ذكره لنا القران الكريم في قضية الحرب التي اوشكت على الوقوع بين سيدنا موسى عليه السلام واتباعه وبين جنود فرعون، لولا هرب سيدنا موسى عليه السلام وقومه باتجاه البحر تنفيذا لأمر الله عز وجل، والذي كان سبب نجاتهم، وغرق فرعون وقومه[٦].

اما العقيدة الصابئية فنقول في بداية هذا الحديث (ان هذه الطائفة القديمة التي عاصرت اليهودية واشتبكت معها في قتال مرير ...)[٧] لكن على حد علمنا ان القتال وإراقة الدماء من الامور المحرمة عند الصابئة[٨] فما هو اذن تفسير هذا القتال؟ يخبرنا ديوان (حرّان كوثيا) الصابئي المقدس عن هذه الصدامات المسلحة بقوله: (جاء في ديوان حرّان كوثيا) ان اليهود هاجموهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً حين كانوا يسكنون القدس وعلى نهر الاردن ونزح الباقون الى الشمال حيثوا التحقوا بإخوانهم الذين يسكنون الجبال ميديا طور او ميديا وفي حرّان"[٩].

يتبين لنا من هذا النص ان هناك تقارباً عقائدياً بين الحرانيين والمندائيين الصابئة، بالاضافة الى ذلك ان الصابئة المندائيين لا زالوا للان يقيمون وجبات طقسية على ارواح اخوانهم الغرقى مع فرعون وهذا ما تقول به الكاتبة (الليدي دراور) حيث تقول: (لا يزال الصابئة يقيمون وجبة طقسية سنوية على ارواح المصريين الذين غرقوا في البحر الاحمر وهم يتتبعون النبى موسى واليهود في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة)[١٠]. يتبين لنا من هذا الكلام ان الصابئة المندائيين كانوا الى جنب فرعون في قتاله مع سيدنا موسى عليه السلام . ولكن الذي يهمنا هل ان الصابئة كانت على عقيدة فرعون ام ان فرعون كان على عقيدتهم؟ وسواء كان هذا ام ذاك فقد فطنت (دراور) لهذه الحقيقة اذ تقول: (ومن الغامض الادعاء– ادعاء الصابئة– بان المصريين كانوا على دينهم وبانها جنس اسلاف الصابئين الاوائل قد انحدروا من مصر الى الجبل (ماداي) لهذا تؤكل كل عام وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي غرقت في الماء وهي تتبع اليهود الخبثاء)[١١].

وما يلبث هذا الغموض ان يزول من خلال ما تطالعنا به المصادر والكتابات الصابئية اذ تقول: (كما ان الصابئة الحاليين يعتقدون ان قسما من المصريين القدامى كانوا على دينهم، وخاصة (فرعون موسى) وما زال الصابئة الحاضرون يقيمون وجبة طقسية على ارواح المندائيين الذين غرقوا في البحر الاحمر حيث تتبعوا (موسى)[١٢].

ان الصابئة المندائيين هم الذين وقفوا ضد سيدنا موسى عليه السلام وحاربوه في دعوته التوحيدية، اما عن الوجبة الطقسية (المندائية الفرعونية) فنقرأ عنها في هذا النص (ولدى الصابئة يوم واحد في اواخر كانون الثاني من كل سنة يطلق عليه العاشورية[١٣] ويشترط على كل عائلة صابئية في هذا اليوم ان تطبخ كمية من الطعام تقرأ عليه الفاتحة على ارواح شهداء الصابئة الذين غرقوا في البحر الاحمر بعد تعقيب موسى وقت هربهم من مصر في القرن السابع قبل الميلاد، وفي هذا الطقس ومضة نور تشيد الى وجود الصابئة في مصر في ذلك الوقت)[١٤].

اذن يتبين لنا وبشكل واضح ان الصابئة المندائيين كانوا على عداء مع سيدنا موسى عليه السلام، وقد حاربوه في دينه وعقيدته مع فرعون وجنوده.




المطلب الثاني: عبور سيدنا موسى عليه السلام البحر ولحاق فرعون له كما في نصوص العقيدة الصابئية.

اما عن تفاصيل العبور فيحدثنا الناصوراني الصابئي– هرمز برانهر– نقلاً عن ديوان (حرّان كوثيا)[١٥] اذ تقول الرواية:

(وفي اورشليم شاركت– الروهة– موسى بني اسرائيل بمملكتها وكان عدواً للمندائيين، وكان يتنازع معهم حين كانوا في مصر، وكان الملك اردوان المندائي[١٦] قد رأى رؤيا سمع فيه صوتاً انياً من بين الحياة يقول له: انهض واترك هذا المكان من اجل سلامتك فنهض واخذ معه المندائيين وخرجوا من مصر وبلغوا البحر فانفلق لهم عن طريق بين جبال من الامواج على الجانبين، وهكذا عبروا وتركوا مصر، الا ان الملك فرعون (برخ ملكا) شقيق الملك اردوان بقي في مصر وتحارب مع اليهود فاحاطوا به فدحر وهرب صوب البحر، فما رأه متعلقاً بملكه هو واتباعه، الا ان البحر التأم جانباه والتقت مياهه وهم لم يتجاوزه بعد، فغرقوا جميعاً، اما الملك اردوان فقد سافر مع ستين الفاً من المندائيين حتى وصلوا اخيراً الى طوره او مداي، فانفتح لهم الجبل وكان شاهقاً كبيراً عبر الاجتياز فدخلوه واجتمعوا به واطبق عليه ثانية وقال (هيبل زيو) الملك اردوان: امكث هنا مع المندائيين ولن يتسلط عليكم الاثني عشر، وتتبعهم موسى ولكن حين وصل الى جبل طوره او مداي لم يستطع اجتيازه فعاد وذهب الى اورشليم)، وتنقل لنا (اليدي دراور) التفاصيل اكثر حيث ذكرت ما جاء في المصادر الصابئية (وكان الملك فرعون عنيداً وقد عوقب من اجل ذلك العناد وكان المصريون على ديننا– اي دين الصابئية– وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون، شيئاً من معارفنا، وكان اليهود بصورة عامة يعبدون الروهة وابناءها وبخاصةٍ "يوريا" ويجهلون ابناء النور والى هذا اليوم واليهود يعبدون "اليوريا" الذي هو اله الشمس. وهكذا منح (شامش) اله الشمس موسى القوة، وتخاصم قوم موسى واليهود مع قوم الملك فرعون المصريين وجعل فرعون رغبة اليهود في الفرار من البلاد واجتياز البحر امراً صعباً للغايه , فحين بلغوا البحر طلبوا من صاحب (العباره) العائده لفرعون ان يجوز بهم البحر الا انه قال (ليست لدي اوامر ان اجوز بكم البحر فحاولوا ما استطاعوا ولكنهم لم يقدروا على اقناعه وكانت لموسى عصا ومعرفه بالأسماء السرية وقد اعطته الروهة تلك العصا واخذ موسى عصاه وضرب بها البحر، وتلفظ ببعض الاسماء فجمد الماء جمود التربة واستطاع هو وقومه ان يسيروا عليه كما لو كان ارضاً مستويه، ومر اليهود عبر البحر الا ان موسى ضل واقفاً في الوسط ولم يتحرك, وحين اجتاز اخر رجل الماء تبعهم موسى, وبعد ذلك لحق بهم الملك فرعون وقومه وسالوا العبار كيف اجتاز اليهود البحر, فقال لهم انهم لم يستعملوا سفينتي ولم يجبروني على اعطائها اياهم الا ان موسى ضرب البحر بعصاه ونطق على الماء كلمات سريه فجف الماء ويبس كما لو كان ارضاً, قال الملك فرعون: غريب ذلك، وكان يعرف سر معرفة موسى للأسماء السرية, فقد درسا سوية حين كانا صغيرين, ضرب فرعون وهو يعرف نفس المعرفة الماء بصولجانه وهي العصا الطقسية, التي يستخدمها كهان الصابئة للان, وبعد ضرب فرعون الماء, انشق عن الارض الا ان قوى النور العليا التي تكره القتال واراقة الدماء وان ذلك ولم يستحسنوه, فالحرب والقتل ممنوعان على ابناء النور)[١٧].

وحين عبر الملك فرعون لم يقف بالوسط بل اجتاز البحر مثل جميع جيشه , ولما بلغ الشاطى المقابل اطبق الماء على اولئك الذين كانوا يتبعونه فغرقوا جميعاً..) والمندائيون يقومون بعمل (اللوفاني)[١٨] ويقام طعام الغفران هذا كل عام لارواح اولئك المصريين الغرقى – وهم الصابئة–[١٩] وهكذا شاءت الاقدار ويخرج الحذر من مأمنه ليكون هذا الماء الذي يعبرونه الصابئة مسبحاً مقدساً لهم, كان هو السبب المباشر في هلاكهم والقضاء عليهم .

المبحث الثاني

سيدنا عيسى عليه السلام والنصرانية في المنظور الصابئي.

المطلب الاول : تقديس يوم الاحد بين المسيحيين والصابئه المندائيين.

يقول الصابئة المندائيون انهم(اولاد الخاله) مع المسيحيين, ويؤكدون قولهم هذا بان سيدنا يحيى عليه السلام قد عمد سيد المسيح عليه السلام في نهر الاردن . اذا فالنقطة الاولى التي تلتقي فيها العقيدة الصابئية مع الديانة المسيحية هي تقديس يوم الاحد وكلنا يعلم ان راس ايام الاسبوع عندنا كمسلمين هو يوم الجمعة وعند اليهود هو السبت، وعند النصارى هو الاحد, ويبدو ان الصابئة ايضاً يعدون يومهم المفضل الاحد, ويوم الاحد بالمندائية هو شابا اي واحد السبعة او اول الاسبوع.[٢٠]

لذلك نلاحظ ان طقوس التعميد المندائي تكون في يوم الاحد غالباً, كما يدل على ذلك هذا النص (يكون التعميد يوم الاحد وهو اول يوم من ايام الاسبوع بحساب المندائيين)(٢١).

ونقرا مما ورد من كتاب (قلتا) والمتضمن مجموعه الصلوات وتراتيل التعميد المندائية, وفي اثناء الحوار الذي دار بين شيت بن ادم ومجموعه الصابئة الذين طلبوا منه تعميدهم يقولون له (الاحد الذي نصونه صادقين هو شاهدنا)(٢٢). بل هناك ترتيله كامله تدعى ترتيلة يوم الاحد ويخبرنا الكاتب الصابئي (مؤيد مكلف سوادي) في مقال له العنوان (اضواء على تاريخ الصابئة المندائيين) نقلاً عن الباحث الاوربي (لدز بارسكي) الذي تحدث عن علاقة الصابئة القديمة الاولى بالمسيحية بقوله (ان تلك العلاقة واضحة في قصة يوحنا المعمدان– وكذلك في تقديس يوم الاحد عند المندائيين)(٢٣).

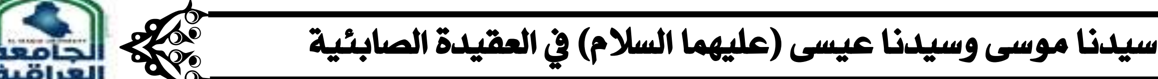
ونقرأ لكاتب صابئي آخر وهو يؤكد هذه الحقيقة (اما افضل ايامهم من الاسبوع فهو يوم– الهبشبة– اي يوم الاحد، فيحق لهم التعميد فيه الوجبات الطقسية اذ لم يقع في بعض الايام المبطلة الغير صالحة والمعروفة والمحسوبة عندهم في ايام بعض الاشهر المندائية)(٢٤). وفي مقال لكاتب صابئي اخر جاء: (يوم الاحد– يومه او هبشبة– عند الصابئين هو يوم مقدس لذلك يتعطلون فيه عن العمل)(٢٥).

نفهم من هذا ان يوم الاحد هو بمثابة العطلة العقائدية للصابئة كما للمسيحيين، وهذا ما يقره كهّان الصابئة انفسهم ونعتبر نحن الصابئة المندائيين يوم الهبشبة، اي يوم الاحد يوماً مقدساً عندنا، حيث تجري اغلبية الطقوس الدينية في هذا اليوم المقدس ويعتبر هذا اليوم عطلتنا – اي التعطيل عن جميع الاعمال واللجوء الى الاعمال الدينية، وتقام في هذا اليوم صلاة خاصة به تتلى بعد الانتهاء من صلاة، الصبح او صلاة الظهر او صلاة العصر ويفضل ان تقام صلاة يوم الاحد داخل المعبد المندائي حيث ورد في الفقرة الثالثة من هذه الصلاة، هذه صلاة الاحد مثل ضياء السماء)(٢٦).

وعن اهمية يوم الاحد المقدس عن الصابئة، يحدثنا كاهن آخر من كهان الصابئة وهو الترميذا – سلوان شاكر عبد الكريم. في مقال له تحت عنوان (هبشبا او هبشبة) اي يوم الاحد واهميته عند الصابئة المندائيين جاء فيه (الاحد في اللغة العربية بمعنى الواحد(٢٧)، اما في المندائية – معناه هبشبا– فهي مكونة من كلمتين(هاد) وتعني واحد او بداية، اما الثانية (شبا) فتعني سبعة، ولهذا يكون المعنى اول اسبوع او بداية الاسبوع. ان هذا اليوم مقدس عند الصابئة المندائيين) انه رأس الايام او يوم الايام، وفيه انبقثت الصيحة الاولى واعلن فيه الرب عن خلقه العظيم للكون الذي استمر ستة ايام واستوى على العرش في اليوم السابع كما جاء في كتابنا (كنزاريا) لذا اصبح – هبشبا يوماً متفرداً يشع روعاً وجلالاً مكرساً لممارسة الشعائر والطقوس الدينية جميعها ..)، وهكذا من خلال ما مر بنا تتضح اهمية يوم الاحد وقدسيته سميت عند الصابئة المندائيين، وباعتبار ذلك اول قناة اتصال بين الصابئة والديانة المسيحية.

المطلب الثاني: الاواصر التي تربط الديانتين الصابئة المندائية والمسيحية.

سنحاول هنا ايضاح اهم الاواصر المشتركة بين الديانتين الصابئية والمسيحية ونبدأ من الزيارة التي قام بها وفد مجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة المندائيين للفاتيكان لمقابلة (البابا) للفترة من ١– ٦/١١ / ١٩٩٠ في روما وجاء من كلمة البابا يوحنا بولص الثاني. التي القاها على وفد المجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة المندائيون حيث قال: (الاصدقاء الاعزاء بكثير من الغبطة ارحب بالشيخ عبد الله، والاعضاء الاخرين في المجلس الروحاني الاعلى للديانة المندائية في زيارتكم الاولى هذه للمقر البابوي المقدس– ويضيف البابا قائلاً: هناك الكثير من نقاط الالتقاء بين دينكم والديانة المسيحية، فأنتم تؤمنون بالرب الواحد خالق الكون. وان التقدير الكبير الذي تكنونة ليوحنا المعمدان والشرف الذي تتمكسون به لشخصية السيد المسيح (ابن خالة يوحنا المعمدان) هو سبب سروركم بأن تدعونا ابناء الخالة اذن انتم اقارب البابا، انه مبارك ان تأتي زيارتكم هذه خلال موسم (عيد العنصرة) حينما يركز المسيحيون اهتمامهم في الصلاة على الروح القدس)(٢٨).

وفي محاضرة اخرى كان قد القاها احد الشخصيات البارزة في العقيدة الصابئية وهو الشيخ رافد وقد قام بإلقائها في قاعة آشور بانيبال وتحدث فيها عن اهم العوامل المشتركة والوشائج التي تربط الديانة المندائية الصابئية بالديانة المسيحية حيث قال: (ان الوشائج التي تربط الديانتين كثيرة وحثيثة وهي من القوة بحيث لن تنقصم عراها ابد الدهر، بل تزيدنا الايام قرباً وفهماً وتفهماً، ومن المفيد ان اذكر بإيجاز هذه العوامل المشتركة وأهمها: الوحدانية بالله تعالى والمواطنة العراقية وتقديس مار يوحنا المعمدان- ابن خاله يسوع المسيح- وتقديس يوم الاحد وعدم الاختتان وتحريم الطلاق ووجوب التعميد كشعيرة دينية رئيسية مهمة والاعتقاد بالمطهر، والامتناع من تناول اللحم اثناء الصوم وكذلك اللغة الارامية المشتركة، وهناك روابط اخرى لا مجال لذكرها)[٢٩].

وفي مقال آخر للدكتور الصابئي قيس السعدي جاء فيه: (وهكذا وبأمر من الحي الازلي تعالى طلب النبي عيسى عليه السلام التعميد او العماد من النبي يحيى عليه السلام)[٣٠].

ويخبرنا مرجع صابئي اخر وهو الناصورائي هرمز بن ملا خضر بقوله: (لم يخضع النبي عيسى للاختتان لانه كان على ملتنا ونحن نحترم الختان)[٣١]، وهكذا تتواصل القنوات الرابطة بين العقيدة المندائية والديانة المسيحية، فإلى عهد متأخر بقى هذا التقارب بين الديانتين وذلك من خلال بعض النشاطات التي قام بها مجموعة من رؤساء الطائفة الصابئية ومنها: (١) زيارة وفد من الطائفة برئاسة الشيخ عبد الله ثم الى عدد من الكنائس وذلك بتقديم التهاني والتبريكات بحلول اعياد الميلاد وولادة المسيح. (٢) حضور وفد من الصابئة للقداس الذي تم بدعوة من السفير البابوي[٣٢].

واخيراً فان الديانة المسيحية القدم الراسخة في نظر العقيدة الصابئية والعلاقة الحسنة ذات الرحم المشدود والحبل المعقود وهذا ما يؤكده لنا كاهن آخر من كهنة الطائفة الصابئية وهو الشيخ (خلف عبد ربه) اذ يقول في مقال له بعنوان التعميد المندائي (ولنا اسوة حسنة بالسيد المسيح عندما جاء يرجو ابانا يحيى ابن زكريا ليعمده فاتحاً بذلك بشارة المناداة بالدين المسيحي)[٣٣]. وهذا اقرار واضح بان الديانة المسيحية معترف بها صابئياً ومن قبل اعلام العقيدة المندائية فضلاً عن اقلام كتابها.

وحيث ان الدين المسيحي جاء بعد العقيدة الصابئية، ونتيجة للتعميد الذي تلقاه السيد المسيح عليه السلام على يد سيدنا يحيى عليه السلام والذي تم بأمر السماء –حسب قولهم- يمكننا القول ان الديانة المسيحية جاءت بمباركة مندائية وولدت نتيجة لتعميد يحيى عليه السلام، للمسيح عليه السلام.

المطلب الثالث: مكانة سيدنا عيسى عليه السلام عند الصابئة.

قبل ان نتطرق الى مكانة السيد المسيح عليه السلام عند الصابئة وعلمائها، علينا ان نسأل هل بقيت العلاقة الصابئية المندائية – المسيحية على احسن ما يكون؟ ام ان هناك حقائق تكمن اخرى تفيد بغير ما تقدم؟

تقول المصادر التاريخية الصابئية في شرحها عن مسيرة الصابئة الطويلة (وهكذا ابتعد الصابئة عن اليهودية وعن المسيحية الاولى التي لاحقتهم)[٣٤] .

فهل هذا ان الصابئة تعرضوا لاضطهاد مسيحي؟ يقول المندائيون عن انفسهم: (الصابئة طائفة معمدانية، ويطلق اصحابها بالعربية الصابئة وقد يكونون من اصل بابلي وهم يخاصمون المسيحية)[٣٥]. ولكن هذا لا يمكنه عدة دليلاً كافياً للحكم على ان النصرانية كانت تقف على عتبة العداء الدموي للصابئة، فنحن اذا بحاجة الى وثيقة اكثر صراحة لكي تؤكد لنا ذلك وهذه الوثيقة يقدمها لنا احد الكتاب الصابئة، ويقول فيها (وقد ظهر لنا من الوضوح في تاريخ هجرة الصابئة المندائيين الى ميسان وذلك اثر المكتشفات التي عثر عليها في نجع حمادي في مصر سنة ١٩٤٥- ١٩٤٦م فقد ورد في كتاب الاستشراق الالماني- الدراسات العربية الاسلامية بجامعة لونيفن ترجمه د. كمال رضوان- ما ترجمته (كان وقع الاكتشافات شديداً وبالغ الاهمية على البحاثة- ادولف فون- عالم التاريخ المسيحي المعروف عندما نقل اليه هذا الحدث، وذلك للاعتقاد السائد من ان المسيحية الاولى قادت حرباً شعواء على فئة الغنوصيين من دعاة ديانات الاسرار، وقضت عليهم واحرقت كل مخطوطاتهم وسحقت تجمعاتهم سواء في

مصر ام غيرهافي من البلاد، وعلى هذا الاساس فمن الجائز ان يكون الصابئة بعد ان نالهم الاذى المسيحي لاعتبارهم من اهل الاديان الفلسفية او الغنوصية، فقد هاجروا الى جنوب العراق واجتمعوا بتلك المناطق بعيدين عن الاعتداءات)(٣٦).

وبالطبع فان هذه الاحداث جاءت بعد حرب اليهود لهم، والسؤال هنا هل يمكننا ان نعد هذا الاكتشاف الآنف الذكر هو الوثيقة التي تثبت عداء النصارى للصابئة او بالعكس؟ ولكن ربما يكون هذا العداء في ظرف معين خلال فترة خاصة مرت وانتهت، وربما تكون العلاقة بعد ذلك قد انتهجت نهجاً سلمياً ادى فيما بعد الى تطبيع العلاقات مثلاً، ولكي نقف على حقيقة هذا الامر، سنحاول معرفة مكانة سيدنا عيسى ﷺ عند الصابئة حيث اننا اذا ما عرفنا ذلك، تكشفت لنا باقي الجوانب المظلمة من السؤال، فمن هو عيسى بن مريم ﷺ في نظر علماء العقيدة الصابئية؟ تقول دراور : (وعيسى بالنسبة للاهوتيين الصابئين، ناصورائي ايضاً، الا انه خرج على الدين وقاد الناس الى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية)(٣٧).

اذن فسيدنا عيسى ﷺ في المنظور الصابئي ما هو الا منشق عمل لحساب نفسه بعد ان تمرد على عقيدته الاولى وخرج عنها ثم انه باح بعقائد ملته الاولى والتي تحرم الاعلان عن اسرارها.

ويخبرنا كتاب (حران كوثيا) الصابئي المقدس (ان المسيح كان على ملة الناصورائيين المندائيين وانه بعد ان تعمد على يد يوحنا المعمدان خرج على ملتهم واتخذ له ملة جديدة)(٣٨).

وفي نص آخر للكاتب الراحل الصابئي (غضبان رومي) وهو انتقاد يوجه لعلماء عقيدته الصابئية جاء فيه (بانهم قد تبرئوا من ابراهيم حين اختتن وكذلك فعلوا مع السيد المسيح، فقد عُمِّد وكان بطلاً من ابطال العقيدة المندائية ومركز اشعاع لانارة السبيل لكثير من مشاكل الحياة ولكنهم ابتعدوا عنه واتهموه بالانحراف عن الديانة المندائية حين فسر او حل بعض المشاكل حلاً غير وارد في تفاسيرهم او كتبهم، خاصة وان علماء الدين كثيراً ما يفسرون المعاني تفسيراً حرفياً)(٣٩) .

وبديهي ان الكاتب الراحل اعرف من غيره بعقيدته المندائية وكهانها وهذا ما تراه العقيدة الصابئية في المسيح ﷺ وبرسالته الانسانية.

الخاتمة

بعد طوي الصفحات الاخيرة من هذا البحث، توصلت الى بعض النتائج التي اختم بها بحثي:

١-اتخذت الصابئة المندائية موقفاً عدائياً من سيدنا موسى ﷺ ووقوفهم الى جانب فرعون في قتاله لليهود وملاحقته لهم.

٢-طبقاً لمصادر الصابئة المندائية، فان فرعون كان على دين وملة الصابئة.

٣-يقيم الصابئة المندائيون طقوس سنوية يوزعون فيها الطعام على ارواح الجنود الذين غرقوا مع فرعون اثناء ملاحقته لسيدنا موسى وبني اسرائيل.

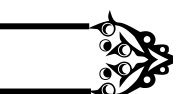
٤-تقديس يوم الاحد وعدم الاختتان والتعميد وتحريم الطلاق هي من اهم العوامل المشتركة بين الديانة المسيحية والصابئة المندائية.

٥-اتخذ الصابئة المندائية موقفاً ايجابياً من شخص سيدنا عيسى ﷺ في بداية الامر.

٦-بعد ظهور وثائق تدين المسيحية بانها كانت تطارد اهل الاديان القديمة ومنهم الصابئة المندائية، اصبح هناك موقفاً عدائياً يضمره الصابئة المندائيون للمسيح وسيدنا عيسى ﷺ.

المصادر

١- اسعد الحمراني، البيان في مقارنة الاديان، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م./ ترجمان الاديان، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- اسلام محمود دربالة، موسوعة الفرق والاديان، مكتبة الايمان، المنصورة، ط٢، ١٤٤٨هـ، ٢٠٠٧م.

٣- رافد عبد الله، الصلاة المندائية، بغداد، ط١/ ١٩٨٨م.

٤- سامي بن عبد الله بن احمد المغلون، اطلس الاديان، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط٢، ١٤٣٠هـ، ١٩٩٠م.

٥- شوقي ابو خليل، اطلس القران، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٦- صبيح مدلول، النشوء والخلق، بغداد، ط١، ١٩٩٤م.

٧- عبد الفتاح جنب الزهيري، الموجز في تاريخ الصابئة، بغداد، ط٢، ١٩٧٨م.

٨- غضبان رومي، الصابئة، بغداد، ط١، ١٩٨٣م./ غضبان رومي، تعاليم دينية لابناء الصابئة، بغداد، ط٢، ١٩٧٨م.

٩- ليدي دراور، الصابئة المندائيون، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.

١٠- ناجية مرائي، مفاهيم صابئية، بغداد، بلا. ط، ١٩٨١.

١١- المرشد الى الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، بيروت- لبنان.

١٢- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة- مصر.

المجلات والدوريات

١. مجلة آفاق مندائية، العدد السادس، آب، ١٩٩٧م./ مجلة آفاق مندائية، العدد السابع، ك١، ١٩٨٨م.

٢. نشرة هيمونثا، بغداد، ١٩٩٧م.

هوامش البحث

(١) سورة التوبة، الاية ١٢٨.

(٢) صبيح مدلول، النشوء والخلق، ص١٤/ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص١٠١٨.

(٣) غضبان رومي الصابئة، ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٦.

(٥) سورة طه، الاية ٧٧.

(٦) غضبان رومي، الصابئة المندائية، ص٧.

(٧) د. اسعد السحمراني، ترجمات الاديان، ص٩٩.

(٨) المصدر نفسه، ص٩٩- ١٠٠.

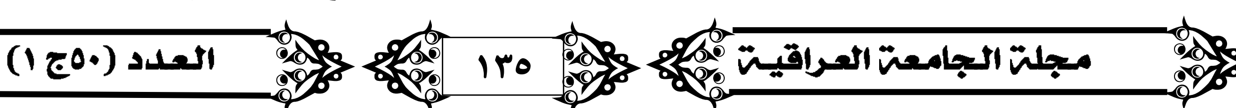
(٩) غضبان رومي، الصابئة المندائية، ص٦٥/ المرشد الى الكتاب المقدس، ١٠٨.

(١٠) ليدي دراور – الصابئة المندائيون، ج١، ص٥٠.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٥٥.

(١٢) غضبان رومي، الصابئة المندائية، ص٦٥.

(١٣) العاشورية والفاتحة، مصطلحات ومسميات اخذها الصابئة من المجتمع الذي حولهم.



(١٤) غضبان رومي، الصابئة المندائية، ص١٩٢.

(١٥) ليدي دراور – الصابئة المندائيون، ج٢، ص٢٥.

(١٦) اردوان هو شقيق الملك فرعون.

(١٧) ليدي دراور، الصابئة المندائيون، ج٢، ص٢٢.

(١٨) اللوفاني: وجبة طعام طقسية يقيمها الصابئة على ارواح موتاهم.

(١٩) ليدي دراور، الصابئة المندائيون، ج٢، ص٢٥-٢٧.

(٢٠) ناجية مرائي، مفاهيم صابئية، ص١٠٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٢٣) مجلة افاق مندائية، العدد السابع/ ك١، ١٩٩٧، ص٣.

(٢٤) عبد الفتاح جنب الزهيدي، الموجز، ص٣٦.

(٢٥) غضبان الرومي، تعاليم دينية لابناء الصابئة، ج١، ، ص٣٧.

(٢٦) رافد بن عبد الله، الصلاة المندائية، ص٢٨المرحلة السادسة– يوم الاحد.

(٢٧) مجلة افاق مندائية، العدد السادس/ آب/ ١٩٩٧، ص٥.

(٢٨) مجلة افاق مندائية العدد السابع ايلول ١٩٩٨ .

(٢٩) مجلة افاق مندائية، ، ص٦ .

(٣٠) مجلة افاق مندائية، ، ص١ .

(٣١) ليدي دراور، الصابئة المندائيون، ج٢، ص٣٠.

(٣٢) نشرة (هيمونثا)، العدد الثاني، ١٩٩٨، ص١٩.

(٣٣) افاق مندائية، العدد الثامن، ١٩٩٨، ص١.

(٣٤) غضبان رومي، الصابئة، ص١٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٧- ١٨.

(٣٧) ليدي دراور، الصابئة المندائيون، ج١، ص٤٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠.

(٣٩) غضبان رومي، الصابئة، ص٩٢